لواء الحمد
مجلة علمية نصف سنوية تعني بالمعارف الإسلامية
السنة السادسة ـ العدد الحادي عشر
(رجب ـ ذي الحجّة ١٤٤٦)

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

١. إن هذا العام (عام ١٤٤٧ هجرية قمرية) يحمل خصوصية مميزة في تاريخ الإسلام؛ إذ يصادف القرن الخامس عشر لميلاد الرسول الخاتم المبارك ﷺ وسلم. ينبغي لنا أن نستفيد من هذه الفرصة الذهبية النادرة، فنتذكر واجباتنا تجاه هذه النعمة الإلهية العظيمة ونحصيها، ثم نذكّر أنفسنا والآخرين بها.

٢. خلال هذه القرون الخمسة عشر، ماذا كان ينبغي لنا أن نفعل وماذا لم يكن ينبغي لنا أن نفعل؟ إن إجابتنا مزيج من هذا النفي والإثبات، الذي يجب أن نراجعه بصدق ونرى وجهنا الحقيقي في مرآته. عندها نعتذر عن المظالم والتحريفات والإساءات التي ارتكبناها في حق تعاليم رسول الرحمة، ونعزم على تداركها؛ كما نفعل إزاء أوجه القصور والتقصير والإهمال التي ارتكبناها في هذا المسار.

٣. في هذه القرون، عكست الحكومات الأموية والعباسية غالباً الصورة المنيرة للنبي، لكن دون اعتبار لتعاليمه السماوية، مجرد استغلال لاسمه الكريم؛ ولكن كيف؟ إن كان رسول الله «رحمة للعالمين»، فقد صاروا هم «زحمة للعالمين». كانت نتيجة هذا التحريف المعنوي الذي أحدثوه في ذلك المنبع النوراني الإلهي، أنهم صدّوا جماعة من طالبي الحق عن التوجه إليه؛ وذلك كله بتصرفهم الغاصب في لقب «خلافة رسول الله»، إذ كانوا يقصدون مصلحتهم المادية الزائلة من هذا اللقب فحسب، فاكتسبوا اسماً ورزقاً من هذا اللقب وتركوا ضلالاً مؤلماً للجميع.

٤. وهكذا فعلت مجموعة من التنظيمات الشيطانية أيضاً، حتى سجلت اسم رسول

الله على رايتها، لتعد نفسها الوارث الحقيقي له. كما لم ترد بعض الفرق المنحرفة أن تتخلف عن هذه القافلة الإبليسية. إن الأعمال السوداء لجميع هذه الفرق والتنظيمات والحكومات وغيرها من المدعين، قد وضعها قلم التاريخ أمام الناس وباتت قابلة للمشاهدة؛ إلى جانب ادعائهم العظيم. بتأمل قليل في هذه القضايا، نرى أنه يجب أن نقلق من مكائد هؤلاء الملونة أكثر من قلقنا على الأعداء المعلنين المتآمرين ضد النبي.

هذه حقيقة مرة رُسمت في سطر واحد من دعاء الندبة: «والأمة مصرة على مقته مجتمعة على قطيعة رحمه وإقصاء ولده إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق فيهم». إن تحليل هذه الجملة القصيرة المليئة بالمعاني يتطلب مجالاً آخر.

٥. لكن لهذه العملة وجه آخر. الكلام هو أنه حيثما يُرى تضييع حق، فالحكام وجه واحد من العملة والعلماء الوجه الآخر. يقصد هذا القلم بالعلماء، جميع المجموعات التي تقدمت بأداة العلم وخاصة العلوم المرتبطة بالدين والتاريخ والأدب والفن وأمثالها وفتحوا باب ذهن وفكر الناس؛ كما كان الحكام يفتحون المدن. يجب على كل من هذه المجموعات أيضاً أن تجيب على سؤالين مهمين حول رسول الرحمة: ماذا فعلوا وماذا لم يفعلوا لترويج التعاليم النبوية الحقة؟

هذا الجواب، إن كان صادقاً، فهو كالمرآة التي تظهر لنا وجهنا الحقيقي. هنا يجب على كل إنسان أن يقول لنفسه:إن أظهرت المرآة صورتك صحيحة؛ فاكسر نفسك، إن كسر المرآة خطأ.

بدون هذا التشخيص، فإن أي حكم حول شكرنا العملي لنعمة نبي الهداية التي لا مثيل لها، ناقص.

٦. من الواضح أنه لم يقل في هذا الوسط المحبون الصادقون الذين سعوا بكل قوتهم، متجاوزين عقبة الاسم والرزق، وحتى ببذل المال والروح، لنشر تعاليم نبي النور المنيرة في عالم مظلم؛ وإن لم يسلموا هم أيضاً من أذى الحكام والعلماء المذكورين ولم يكونوا في مأمن؛ أولئك المشار إليهم في استثناء الجملة السابقة (إلا القليل...). على كل حال،

إن أثر أولئك الأعزاء المنير في مرآة التاريخ، واضح وقد أثار شكر الأجيال اللاحقة. إن بقي شيء قليل من هذا الشمع الهادي رغم كل هذه الرياح المعاكسة، فذلك مدين لمساعي هؤلاء المخلصة وجهادهم المتفاني.

٧. اتبع هؤلاء الأفراد والجماعات الصادقة كلام رسول الله الخالد الذي اعتبر أثريه الباقيين في الأمة «القرآن والعترة» وأكد على التمسك المتلازم بخيطي الهداية هذين. الواقع أن «دور الأئمة في إحياء الدين» لم يُدرس بما فيه الكفاية. في مجرى هذه المراجعة المقارنة بين مدرسة الأئمة المعصومين وأتباع السقيفة، يتضح جيداً أن دين النبي الحق، إنما بقي بجهاد الأئمة الحق المستمر.

رفع أولئك الكرام راية الهداية، وتركوا الكثرة جانباً وفكروا في الهداية الحقيقية والتربية الباطنية؛ لا العروض الظاهرية والجماهير الغفيرة الفارغة المحتوى.

٨. ما كُتب في هذه الأسطر المختصرة، «حرف من آلاف ما جاء في العبارة». نأمل أن نتكلم في هذا الموضوع مرة أخرى في الفرص القادمة.

لكن في ختام هذه الكتابة، في استمرار للنقطة السابقة، تُشار إلى أن راية الهداية هذه، اليوم في الأيدي القديرة لإمام الأمم، سيدنا بقية الله أرواحنا فداه. اليوم هو أيضاً من يرشد سالكي طريق الهداية ويُظهر للسالكين مقصد السعادة النبوية. هو الذي مثل جده الكريم، أخذ من ربه اللقب العالي «رحمة للعالمين» وبسط مظلة الرحمة على رؤوس الجميع، حتى يوم يُظهر للجميع تحقق الأهداف العظيمة للبعثة في دور الظهور.

في الدعاء المأثور حول إمام العصر عجل الله تعالى فرجه نقرأ: «واحفظ فيه رسولك وآل رسولك» (الاحتجاج، ج٢، ص٤٩٥؛ نفس المضمون في رواية أخرى: كمال الدين، ج٢، ص٥١٣، مصباح المتهجد، ج١، ص٤٠٩). من هذه المجموعة من الأحاديث نفهم أن اليوم كل تذكير بإمام العصر عجل الله فرجه ونصرة سيادته، تذكير بنعمة نبي الرحمة التي لا مثيل لها ونصرة ذلك السيد والدفاع عن ذلك الجناب.

فلتكن المثابرة الدائمة في هذا المسار الإلهي المنير من نصيبنا. آمين.